

هذه المرأة الفلسطينية التي تقول: أنا ضحيت بخمسة أولاد. هي تمثل بالحقيقة صورة زينب عليها السلام. المرأة اللبنانية تحت القصف تقول: أنا أقدم أولادي في سبيل الله لتستمر المقاومة. تمثل صورة زينب عليها السلام. المرأة العراقية في الفلوجة أو النجف أو البصرة أو كربلاء حين تقول: لا للأمريكيين ولا لبطشهم ولا لاستعمارهم ولا لمخططاتهم ولا لتفرقتهم الطائفية ولا لبرامجهم التخريبية. هذه تسير على نهج السيدة زينب عليها السلام.

الشاعر الشيعي في العراق - يقول للفلوجة -: تحية فلوجة الإباء.. ويا شموخ كربلاء.. يا صرخة الأرض تتادي صيحة السماء.

هذا هو الموقف الزينبي الموحد.. زينب عليها السلام ليست طائفة معينة من الناس.. زينب عليها السلام للأمة كلها وللإنسانية كلها.. زينب عليها السلام ليست شيعية ولا سنية بالمعنى الطائفي المفرق الذي يثيره الأعداء بيننا، ولكنها شيعية لولاء آل البيت عليهم السلام، فهي رمز هذا الولاء، وهي سنية لإتباع سنة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهي منتسبة له.. هذه هي زينب عليها السلام.

نحن في هذه المناسبة بحاجة إلى مجابهة الخطر القادم لتحديد المنهج المعادي الذي يريد أن يعصف بالأمة.

ما يجري في العراق أيها الإخوة هو مشروع استعماري صهيوني، ليس هو تحريراً ولا إنقاذاً للشيعية على حساب السنة، ولا دفاعاً عن السنة على حساب الشيعة، ولا إنقاذاً للأكراد على حساب العرب، هذا كله زيف تُخدع به بعض الناس أو بعض الشرائع في بعض الأوقات، ولكن الحقيقة ظهرت بعد أربع سنين من الاحتلال وبعد الاستعمار والبطش، بعد أربع سنين اكتشفت الحقائق وتوضحت الصورة.

الشعب العراقي اليوم يعتز بانتصاره على مشروع الاحتلال بالمجاهدين الأبطال من أبنائه الذين لا يعرفهم أحد، واستذكر الذين يسرون حفاة على أقدامهم، يقاتلوا أعتى قوة في العالم، هؤلاء هم أبناء العراق الذين نعتز بهم جميعاً، والذين أسقطوا المشروع الصهيوني الأمريكي في العراق، وسيقضون عليه بإذن الله، ولكن أمامهم تحدٍ خطير وهو تحدي بناء المشروع الوطني الموحد البديل، وهذا هو الذي نعمل عليه جميعاً مع المخلصين بعد أن توضحت الصورة.

ونحن نستلهم من سيدتنا زينب عليها السلام مواقفها.

ونسأل الله أن يقبل شفاعتها فينا، وأن يسمع دعائها لنصرة أبناء أمتها ليخرجوا من هذا التيه ومن هذا الظلال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، فهي في فطرة الإنسان، ولكن كيف تتفجر هذه الفطرة؟ تتفجر إما بعوامل خارجية وهي في نظري عوامل ثانوية، أما العامل الأكبر فهو عامل ذاتي ينبع من إيمان الإنسان بالله تعالى وقدرته على حمل أعباء الرسالة بمسؤولية ليوصلها إلى الناس ولو بظروف حرجة.

والعامل الثالث: هو عامل التضحية.. فمن أحس بالمسؤولية وآمن بالرسالة سيكون على استعداد لكي يضحي في سبيلها، وحياة الإنسان أجمل ما يكتشفها إذا ضحيت في سبيل الله تعالى، وفي سبيل العقيدة الصحيحة، وفي سبيل المبادئ السامية.

سيدتنا زينب عليها السلام هي مثال لكل هذه المعطيات التي أتحدث عنها بل هي الأسوة والمعلمة: يقولون في المثل الشعبي الشامي: «الأم تلم»، يعني أم العائلة تجمع أبنائها، ما دامت الأم موجودة الخلافات قليلة.

يبدو أن العائلة البشرية بحاجة إلى أم.

كانت مريم (سلام الله عليها) أمّاً للبشرية يوم انفردت في الهيكل لتعبد الله على حق، ولتهياً لولادة المسيح، ليصبح أمناً الهيكل السابقين للحق، وأمناء الهيكل موجودون بكل مكان وأنتم تعلمون ذلك.

أم البشرية في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت خديجة حتى ولدت فاطمة عليها السلام، وقامت هي بالدور، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة أم أبيها»، فهي أم البشرية التي تجمعها على خير، وبعد فاطمة كان لابد من دور آخر في المنعطف الحاسم الذي يمثل قمة الصراع بين الرسالة الإسلامية وبين الجاهلية.

ومنعطف المعركة الكبرى في كربلاء كانت زينب عليها السلام تؤدي هذا الدور خطوة خطوة، فهي تمثل القيادة والثقافة وكلما تبحث عنه الإنسانية من خير، في ذلك الوقت ظهرت السيدة زينب عليها السلام ليس تلك الضعيفة التي تبكي ولا تلك التي تضرب رأسها بالمحمل ولا تلك التي تولول، بل هي التي اتبعت وصية أخيها الحسين عليه السلام الذي قال لها:

«تعزي بعزاء الله فإن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، فإن أنا مت فلا تخمشي عليّ وجهاً ولا تشقي عليّ جيباً»... هكذا كانت السيدة زينب عليها السلام.

وكلمتها المعروفة التي سمعناها بالأمس حين وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام وهو خير جسد طاهر لتقول: «اللهم تقبل منا هذا القربان».

آخر المطاف وأهمه.. زينب عليها السلام ليست قصة في التاريخ، نحن نستطيع أن نجلس ونبكي على المأساة، ونحزن على الحدث، ونكتب قصص أدبية وننظم أشعاراً، لكن زينب عليها السلام حالة متجددة، حالة قائمة يحتاجها الرجال والنساء معاً، إن المعركة قائمة أيها الإخوة في العراق وفي فلسطين وفي لبنان وفي أفغانستان.